صورة غنى ، إنما يرى الفضيلة فيما يوفقه الحق فيه ويدخله عليه »

ومفتاح التصوف نكران الذات وعدم الأثرة أو بمعنى آخر « الحب » ومع أن هذه الفكرة ليست غريبة بأكملها ، إلا أنها كانت بعيدة جداً عن أن تكون معروفة للمسلمين الأتقياء الذين كانوا متأثرين تماماً بقوة الله وبطشه أكثر من رحمته وغفرانه .. وإن جل تاريخ التصوف لهو مناهضة التفرقة غير الطبيعية بين الله والإنسان ، وتبعاً لذلك لا أرى ثمة ضرورة تدعونا للبحث عن أصل المذاهب الصوفية في غير الاسلام ، على الرغم من أنه من الخطل ألا نذكر الأثر المسيحي الذي أثر ولا بد في الحركة في طورها الأول .

أما الطابع التفكيري الذي أشربوه شيئاً فشيئاً ، والذي بدلهم على مر الزمن فقد كان بين مد وجزر وارتفاع وانخفاض طوال العصر الأموي وطيلة قرن تقريباً بعد تقلد بني العباس مقاليد الخلافة والحكم . ولا يزال الصوفيون الأوائل ينهجون منهج السنة ، فصلتهم بالإسلام نسبياً كصلة متصوفي الأسبان في القرون الوسطى في الكنيسة الكاثوليكية . ذلك بأنهم كانوا يعلقون كبير أهمية على بعض النواحي الخاصة في التعاليم الإسلامية ويولونها جل اهتمامهم بدرجة تجعل النواحي الأخرى تكاد تكون في حيز العدم . وهم لا ينهمكون في علم الكلام Dialectic ولكنهم يكرسون أنفسهم لمسائل تتعلق باللاهوت العملي ، وإن نكرانهم للذات وتقشفهم البالغ أقصى نهايته وتقواهم الحادة واعتزالهم ... كل هذه الأمور جعلت خواص رسالتهم الأولية توصف بالذهول

ترجمة : ع . ع

قصة الشعر العالمي

٤

القاضي عمر

للأستاذ عبد الغني سلومة

تطلب من المؤلف ، ومن المكاتب الشهيرة

من شهداء الإسلام

عمار بن ياسر

للأستاذ كامل محمود حبيب

« أبشروا آل عمار فان موعدكم الجنة »
(حديث شريف)

وقف بباب دار الأرقم رجل آدم طوال أصلع أشهل العينين بعيد مابين المنكبين... وقف يردد بصره فيما حوله وإن الشيطان ليوسوس له يريد أن يثنيه عن عزمه ، وإن قلبه لينتفض مما استولى عليه من الرعب . وكيف لا يستلبه الفزع من بعض عقله وهو في هذا البلد وحيد ؛ فما من عشيرة تحميه ، وما من أهل يدفعون عنه الأذى ؛ وقريش من ورائه في الصولة والسلطان أشداء على صحابة محمد ورفاقه ، يصبون عليهم فنونا من القسوة والعذاب في غير رحمة ولا شفقة ؟ واصطرع في رأس الرجل عاملان : هنا النبي الكريم يشرق النور الإلهي من جبينه فيسطع متألقاً يجذب اليه جماعة ممن رضي الله عنهم ، وهناك قريش لا تستطيع أن تنزل عن كبريائها في هوان وذلة وهم سادة القوم وأمراؤهم فكيف يلقون السلم في ضعة ؟ كلا ، بل أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون

أفينكص الرجل على عقبيه ليتردى في الغواية مرة أخرى ويعكف على أصنام من حجارة لا حول لها ولا طول ، أم يندفع

فيلج باب دار الأرقم لياتي محمداً ... ثم يتلظى — بعد حين — بنار يؤجج سعيرها وتنبعث من قلوب عليها أقفالها ... قلوب قريش الغبيظة المحنقة ؟ وأطرق يفكر ما يطمئن إلى أمر ...

وجذبه من أخيلته صوت أقدام تسير اليه فى وناء وثبات ... فاذا صهيب بن سنان أمامه ، فاندفع يحدثه : « ماتريد ياصهيب ؟» قال صهيب « بل ماذا تريد أنت يا عمّار» قال : « أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه » قال صهيب : «وأنا أيضاً ، فوربى لقد دفعنى قلبى إليه وإن خواطرى لتضطرب فى خيالى خشية مما ألاق بعد» ثم انطلقا جنباً إلى جنب إلى حيث النبي فأسلما معاً ، وما استطاعا أن يبرحا الدار حتى خيم الظلام على الأرض ، فخرجا يتسللان ...

وأشرق نور الايمان فى قلب عمّار بن ياسر فما استطاع أن يكتم نزوات الفرح والغبطة فى قلبه ، فراح إلى أبيه (ياسر) وأمه (سميّة) يحبّب إليهما الاسلام فأسلما . وانطلق هو يعلن عن إسلامه فى جرأة لا يرهب القوة الثائرة ، ولا يخاف العذاب الأليم

وافتنّ آل حذيفة في تعذيب آل ياسر — وما آل ياسر سوى عمّار وأمه وأبيه — لا يتورّعون من شر ... لقد مات ياسر فى العذاب ، وماتت سمية إثر طعنة من يد أبى جهل ؛ وعمار يشهد فما وهن وما استكان ، فأغلظوا عليه وفى قلوبهم مراجل من الغيظ يُحمى عليها بنار من الصلف كلما خبت زادها الشيطان سعيراً .

وفى ذات مرة أخذوا يغطونه فى الماء المرة بعد المرة فما تركوه حتى نزل عند رأيهم وقد بلغ به الجهد مبلغه ، وهم يقولون له : « اللاّت والعزى إلهُك من دون الله » فيقول هو : « نعم » ويقولون له : «هذا الجعل إلهُك» فيقول : «نعم» . وحين انفلت من بين أيديهم استشعر وبال أمره فراح يكفر عن خطيئته بعبرات الأسى والندم ، ويستغفر الله أن زلّ لسانه ، وفى قلبه حسرات وحسرات . ولقيه رسول الله (ص) وهو فى أحزانه ما يستطيع أن يكفكف بعض عبراته فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : « ما وراءك ؟ » قال عمّار : « شرٌّ يا رسول الله ، والله ما تركتُ حتى نِلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير » فقال : « وكيف تجد قلبك ؟ » قال : «مطمئن بالإيمان » قال « فإن عادوا فعد » فانطلق عمار وقد مسحت كلمات النبي (ص) على أحزانه

وانطلق الفوج الأول من المسلمين إلى الحبشة فراراً من أذى قريش وخوفاً من الهوان والفتنة ، وعلى أثره الفوج الثانى وفى أكبادهم حُرَق أن نأوا عن وطنهم وأولادهم وعشيرتهم ، وعمار صابر على أذى الكفار يتحمله فى جلد وصمت على حين لا يستطيع أن يصبر عن مشرق النور والرحمة من وجه النبي (ص) ، وما يزيده العذاب إلا إيماناً بمحمد (ص) ودين محمد

وهاجر عمار — فيمن هاجر — مع النبي (ص) إلى المدينة فهبطها ضحى ، فما تلبث حتى أخذ يشيد للرسول مسجداً يقيم فيه الصلاة فى غير حذر ولا رقبة ، وفى نفسه اللذة والطرب وهو ينشد : « نحن المسلمون نبتنى المساجدا » ورسول الله يردد : « المساجدا » واندفع القوم يشد بعضهم أزر بعض يحمل كل واحد منهم لبنة لبنة غير عمار فهو يحمل لبنتين لبنتين ، وراع القوم أن يجهد عمار نفسه فتنقل الحديث فى همس : « إن عماراً يريد أن يقتل نفسه فهو يحملها فوق طاقتها ! » وسمع النبي (ص) الحديث فراح ينفض التراب عن رأس عمار وهو يقول : « ويحك ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية ! »

ولصق هو بالنبي ما ينأى عنه فى سلم ولا حرب لأن قلبه وإيمانه لا يطاوعانه على أن يفعل ...

* * *

ولحق النبي الكريم بالرفيق الأعلى فبكاه عمار — فيمن بكى — سحاً وتسكاباً ، وفى قلبه — من أثر الفراق — جرح ما يندمل إلا أن يلحق بسيده ، ثم هو لم يستشعر الوهن ولا الضعف فى دينه

وارتد مسيلمة وقومه حين انفرجت الثغرة بموت الرسول فاندفع إليهم عمار — فيمن اندفع — ثائراً هائجاً يهدر يريد أن يؤدب قوماً على عصيانهم ، وحين وجد فى المسلمين هوادة وفتوراً ارتقى هو شرفاً عالياً ثم أخذ ينادى وقد قطعت أذنه : « إلىّ ، إلىّ يا معشر المسلمين ، أنا عمار بن ياسر ، أمن الجنة تفرون ؟ هلموا إلىّ ! » ثم اندفع إلى الصفوف يفرق ما اجتمع منها كأنه فتى فى الثلاثين ، وهو قد شارف السبعين من سنى حياته

* * *

رحم الله عمر بن الخطاب فلقد كان بصيراً بأقدار الرجال حين أمّر عمار بن ياسر على الكوفة وكتب إلى أهلها : « ... أما بعد ، فانى بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود وزيراً ومعلماً ، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما ... »

لقد تأمر عمار على الكوفة فما أخذته كبرياء المنصب ، ولا روعة الإمارة ؛ ثم عزله عمر فما استولى عليه اليأس ، وما حمل لأمير المؤمنين فى قلبه حفيظة ولا حقداً ، بل قال : « والله لقد ساءتني الولاية بقدر ما ساءنى العزل » واندفع على سننه لا يجد الخور ولا الفتور إلى نفسه سبيلاً

يا عجباً ! يا عجباً ! يتغلغل الايمان فى القلب فيحجب الانسان عن لذاذات الحياة ومباهجها لينقله إلى لذاذات ومباهج أخر هى لذاذات قلبه ومباهج دينه ؛ ثم ينزع عنه أطماع الدنيا وشهواتها فاذا سواء لديه أن يكون له ملك لا ينبغى لأحد من بعده ، أو يكون فقيراً لا يستطيع السبيل إلى اللقمة يقيم بها صلبه إلا بشق الأنفس

* * *

ووقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين ، فانشقت العصا ، وغدا كل حزب يزعمون أن الحق إلى جانبهم ، فانضم عمار إلى علىّ وأصحابه وهو يقول : « تالله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمتُ أنّا على حق وأنهم على باطل » وراح يدفع عن الحق فما يهن ولا يستكين . وإنه فى يوم صفين لعلى رأس رجال من أصحاب النبى كأنه علم ، إن تيامن تيمنوه وإن تياسر تيمموه ، وهو يحرضهم بقوله : « أتفرون من الجنة والجنة تحت البارقة . اليوم ألق الأحبة : محمداً وحزبه » وفى يده حربة ترعد وهو ينادى : « ألا مَنْ يبارز ؟ ألا مَنْ يبارز ؟ »

« ويحك ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية ! »

وشهد هذا اليوم مشهداً مروعاً من مشاهد الحرب تنفطر له الأكباد ، هو قتل عمار بن ياسر ! لقد رماه أبو العادية المزنى بالرمح على حين غفلة منه فهوى إلى الأرض ... ثم أكب عليه آخر فاحتز رأسه فى غلظة وجفاء ... وانطلقا يختصمان لدى معاوية فى رأس عمار وكل واحد منهما يقول : « أنا قتلته » علّهما يصيبان أجراً . وعند معاوية عمرو بن العاص وابنه عبد الله ورجال من خاصته والمقربين إليه ، فقال عبد الله : « ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ، فانى سمعت رسول الله (ص) يقول : تقتله الفئة الباغية » وقال عمرو بن العاص : « والله إنهما ما يختصمان إلا فى النار ، ووالله لوددت أنى مِتّ قبل هذا بعشرين سنة » فاربدّ وجه معاوية وهو ما يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض ما أصابها ، وفى قرارة نفسه أن جيشاً من أقوياء المسلمين وأشدائهم ما يقدر على أن ينال منه بعض مايناله حديث عمرو بن العاص وابنه إن هو شاع بين جنوده

وهناك فى العراء وقف علىّ بن أبى طالب عليه السلام يازاء جثمان عمار بن ياسر يقول وفى قلبه الأسى والحزن على أن فقد صاحب رسول الله وحبيبَه : « إن امرءاً من المسلمين لم يَعْظُم عليه قتل ابن ياسر ، وتدخل به عليه المصيبة الموجعة لَغيرُ رشيد . رحم الله عماراً يوم أسلم ، ورحم الله عماراً يوم قُتل ، ورحم الله عماراً يوم يبعث ؛ لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله (ص) أربعة إلا كان رابعاً ولا خمسة إلا كان خامساً ، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة فى غير موطن ولا اثنين ، فهنيئاً لعمار بالجنة ... »

وانطوت صفحة بيضاء ناصعة من صفحات الاسلام وانقض ركن من أركان الايمان الثابت ... فرحم الله عماراً

كامل محمود حبيب

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الالمانى

الطبعة الجديدة

ترجمها : أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشاً